

في نور محمّد فاطمة الزهراء

فساعة خطا الجيش أولى خطواته على أرض البلدة الطيّبة، وانتشر سواده الكثيف في بياض النهار المشرق، وتحرك الفيل يقوده على الطريق إلى البيت العتيق، انطلق عبدالمطلب يسبق الغُزاة إلى حرم ابي. قلبه كلاًه خشوع، عيناه تفيضان بالدموع. نفحة قدسية من نفحات الإيمان هي التي كانت توجّه تفكيره وتهدي خطاه، وفي سكينه وطمأنينة أخذ بحلقة باب الكعبة الغرّاء، يدقّ بابها، ونظره إلى السماء، وعلى جرس الدقّات راح يستنصر ابي: لا هُمّ إنّ العبدَ يَمْنَعُ *** رحلّاهُ فامدّعْ حلالَكَ لا يغلبنّ صليبهُ هُمّ *** ومحاله هُمّ أبداً محالَكَ جرّوا جموعَ بلادهم *** والفيلَ كي يَسْبُوا عيالَكَ إنّ كنتَ تاركَهُ هُمّ *** وقبلتَنا فأمرْ ما بدّا لك [312] ثم مضى في ضراسته وابتهاله: يا ربّ ... لا أرجو لهم سواكا *** يا ربّ ... فامدّعْ منهم حماكا إنّ عدوّ البيت مَن عاداكا *** امنعهم أن يخرّبوا فناكا * * * وصدقت مَلَكَة التوسّم والاستجلاء. استُجيب الدعاء، حفّت على الطغاة المفتونين كلمة ابي. وهل كان سبحانه ليخلّي بينهم وبين حرمة الأمين؟ هل كان تاركهم يعيشون في البلدة المقدّسة، وإنّ فيها - على مرمى الحربة، ومنزع السهم منهم - ذلك الوليد اليتيم الذي اجتباه ربّه ليكون هدىً ورحمةً للعالمين؟ إنّ هي إلاّ سُوءَ يَعْزّة أو سويغات حتّى ذهب أصحاب الفيل في الغابرين، عاجلهم